مع بعضها البعض. ان ذلك لم يحدث لأن الدول العربية واجهت مقتضيات التنسيق والتوحيد (أي مواجهة التحدي الصهيوني، فضلاً عن نداء الوحدة العربية كنداء عاطفي وتاريخي ومصلحي في ذاته) في ذات الوقت الذي كانت تسعى لتدعيم نفسها «كدول» مستقلة.

واقع الأمر، اذاً، ان مقتضيات دعم «الدولة» تغلبت بشكل كاسح على مقتضيات انصهار الدولة. ولقد جسَّدت الجامعة العربية فشل العوامل الداخلية الدافعة الى الوحدة، أي اللغة والتاريخ والمصالح الاقتصادية المشتركة في التغلب على المصالح الضيقة «للدولة»، وكما يقول جميل مطر وعلي الدين هلال: «لقد ولدت الجامعة العربية لتعكس تناقض ظاهرتين في المنطقة العربية، اولاهما ظاهرة حركة القومية العربية وسعيها نحو الوحدة، وهي الظاهرة التي تتضمن اعادة النظر في الحدود السياسية القائمة؛ وثانيتهما وجود دول مستقلة، أو في سبيلها للحصول على استقلالها وسيادتها. لذلك جاءت الجامعة ظاهرة فريدة في التنظيم الدولي، منظمة اقليمية تضم دولاً متجاورة جغرافياً. وبحكم ميثاقها تحترم سيادة كل من هذه الدول، ولكنها في الوقت نفسه منظمة تعبر ـ بحكم وجودها ذاته ـ عن فكرة قومية»(٧).

وبالمثل، فان الحروب العربية ـ الاسرائيلية جسَّدت فشل العامل الخارجي المتمثل في التحدي الصهيوني في التغلب على المصالح الضيقة «للدولة»، وفي دفع العالم العربي نحو الوحدة العربية. واذا كانت حرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ جسدت اقصى ما وصل اليه التنسيق بين الدول العربية في لحظات قليلة، فان هذا التنسيق سرعان ما تلاشى بعدها.

ومثلما نظرت النظم العربية الوليدة الى عضويتها للجامعة العربية نظرتها الى عضويتها في الامم المتحدة، أي كميدان تؤكد فيه شرعيتها «كدولة» مستقلة لها كافة مقومات الدولة، ولها شرعيتها الاقليمية والدولية، فانها نظرت الى مواجهتها لاسرائيل، وهرولت للمشاركة في تلك المواجهة أيضاً، كأداة او كمجال لاثبات وجودها الذاتي، قبل أي شيء آخر.

ومن هذا المنظور، يبدو وكأن وجود الكيان الصهيوني اسهم في دعم «الدولة» في العالم العربي، وليس في اضعافها. وفي المقابل، فان انشغال الانظمة العربية، خاصة تلك المحيطة بالكيان الصهيوني، بمشكلاتها الخاصة، وبدعم مؤسسات الدولة فيها، أسهم في اعطاء هذا الكيان، خاصة في سنوات الانشاء الاولى، الفرصة الذهبية لتدعيم ذاته على كافة المستويات.

وفي الواقع، فان ممارسات تلك الانظمة خدمت الكيان الصهيوني من زاويتين محددتين:

الاولى، انها، بتهديداتها اللفظية، وحملاتها الدبلوماسية، واعلانات التنسيق والحشد فيما بينها، اسهمت، دائماً، في التلويح بخطر داهم ضد الكيان الصهيوني، مما مكنه، باستمرار، من استغلال هذا العنصر لتعبئة قواه الداخلية، وللدمج بين عناصره المتنافرة في مواجهة الخطر الخارجي. وفي هذا السياق تأتي آثار العمليات الفدائية (غير النظامية) التي كانت تشن عبر حدود اسرائيل من البلاد العربية المجاورة والتي كانت تشكل الملاذ الضيق الوحيد المتاح امام الوطنيين الفلسطينيين للهجوم على العدو الصهيوني. وفي حين ان هذه العمليات كانت ذات تأثير عسكري محدود، الا انها قامت، بالنسبة إلى اسرائيل، بوظائف هامة للغاية ليس فقط في شكل ابقاء الخطر العربي ماثلاً امام التجمع الصهيوني وانما، ايضاً، لاعطائه المبرر لتوجيه ضربات عسكرية دورية الى البلاد المحيطة.

وقد عمدت اسرائيل والصهيونية العالمية الى استغلال كافة الشعارات التي رفعها العرب،